مجلـــــة الآداب للعلوم الإنســـانيـــة
المجلد السابع العدد الثاني، ديسمبر 2024،
ص ص27- 50
Arts & Humanities Journal
Vol. 7, Issue no. 2, December, 2024,
pp.27-50

Issn (النسخة المطبوعة): 3006 -7561 Issn (النسخة الالكترونية): 3006 -757X

سياسة الدولة الإسبانية تجاه المسلمين المدجنين في الأندلس

(609 – 897هـ / 1212 -1492م)

الأستاذ الدكتور عبد الباقي محمد كبير

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القصيم

تاريخ استلام البحث: 4/ 8/ 2024 تاريخ قبوله للنشر: 20/ 8/ 2024

سياسة الدولة الإسبانية تجاه المسلمين المدجنين في الأندلس

(609 – 897هـ / 1212 -1492م)

أ. د. عبد الباقي محمد كبير

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القصيم

ملخص البحث

تناول البحث سياسة الدولة الإسبانية النصرانية تجاه المسلمين المدجنين في الأندلس عند بداية انهيار الدولة الإسلامية الأندلسية في مطلع القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وكيف استولت القوى النصرانية المكونة من ممالك قشتالة وأراغون وليون والبرتغال على الأراضي الإسلامية الأندلسية، باستثناء مملكة غرناطة، وتحول المسلمون من حكام إلى رعايا تحت حكم القوى النصرانية، وطبقت عليهم الدولة الإسبانية سياسة الظلم والاضطهاد والتنصير الممنهج، بإصدار القوانين والتشريعات والقرارات التي تؤدي إلى إضعاف عقيدتهم وطمس هويتهم، ليسهل تنصيرهم أو تهجيرهم، وقد طالت تلك السياسة جميع جوانب حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلا أن المسلمين المدجنين لم يستسلموا، وقاوموا تلك السياسات، وصبروا على ذلك طوال فترة الانهيار، التي استمرت لأكثر من قرنين ونصف من الزمن.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، المسلمون المدجنون، إسبانيا النصرانية.

The Spanish state's policy towards the Mudéjar Muslims in Andalusia,(609 -897 AH/ 1212- 1492 AD)

Prof. Dr. Abdul Baqi Muhammad Kabir,
Professor of Islamic History at Qassim University.

Abstract

The research dealt with the policy of the Christian Spanish state towards the Mudéjar Muslims in Andalusia following the collapse of the Andalusian Islamic state at the beginning of the seventh century AH (13 AD), and how the Christian forces consisting of the kingdoms of Castile, Aragon, Leon, and Portugal took control of the Andalusian Islamic lands, with the exception of the Kingdom of Granada, and the Muslims turned from rulers into Third-class citizens, and the Spanish state applied to them a policy of injustice, persecution, and systematic Christianiz…

Keywords: Andalusia, Mudéjar Muslims, the Christian Spanish.

المقدمة

لم يتوقف الصراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس منذ دخول الجيوش الإسلامية أراضي شبه الجزيرة الإيبيرية عام 92هـ/ 711م[1] وكان بقاء الدولة الإسلامية واستقرارها مرهوناً بقوتها وقدرتها على التصدي للمخططات السياسية والهجمات العسكرية التي يشنها النصارى على المسلمين، ولهذا قدم لنا التاريخ الأندلسي في عصوره الأولى صفحات باهرة من ضروب المجد السياسي والتمدن الحضاري عندما كانت الدولة قوية متماسكة.[2] ولكنه أيضاً يقدم لنا صفحات مشجية مؤثرة من تقلب الأمور، وتعاقب المحن، والانحدار البطيء نحو الهزيمة والسقوط، وما بين هاتين الصورتين جرت أحداث تاريخية مهمة سجلها لنا المؤرخون المسلمون والنصارى، عن حياة المسلمين بعد هزيمة دولتهم عام 609هـ/1212م، واجتياح أراضيهم، وبعد أن كانوا حكاماً أصبحوا رعايا تحت حكم القوى النصرانية، وأطلقوا عليهم اسم المسلمين المدجنين، توهيناً لشأنهم. ونظراً لأعدادهم الكبيرة، وقدراتهم العلمية والفنية، التي لم يجدوا لها بديلاً، تركوهم يعيشون معهم، ووضعوا لهم سياسات معينة تحمل كل معاني الاضطهاد والظلم الممنهج في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. بهدف إضعاف عقيدتهم وطمس هويتهم، حتى يسهل تنصيرهم، أو تهجيرهم، وذلك بإصدار القرارات والقوانين الصارمة، وقد تم تقرير هذه السياسات وتطبيقها بالتعاون بين الدولة الإسبانية والكنيسة الكاثوليكية بروما، وبالرغم من هذه السياسات الظالمة والضغوط المستمرة إلا أن المسلمين ظلوا متمسكين بعقيدهم الإسلامية وثقافتهم العربية، وقاوموا تلك السياسات بالشكاوى تارة، وبالثورات تارة أخرى، واستمروا على ذلك حتى سقوط غرناطة عام 897هـ/ 1492م، آخر معقل للمسلمين في الأندلس. حيث أصدر الملك شارل الأول قراراً عام 932هـ/ 1525م يقضي بتنصير المسلمين ليحل محل المدجنين مصطلح آخر هو المورسيكيون، أي المسيحيون الجدد[3].

وتجدر الإشارة إلى أن تاريخ المسلمين المدجنين رغم أهميته وطول فترته التاريخية إلا أنه لم يحظ باهتمام المؤرخين العرب والمسلمين، وربما لاعتقادهم بأنها فترة ضعف وانهيار وإذلال، بعد قوة وسمو وازدهار، وبالتالي عوملت وكأنها ليست امتداداً لتاريخ الدولة الأندلسية. ومن أهم البحوث الحديثة التي تحدثت عن المدجنين كتاب: "المسلمون المدجنون في الأندلس" للدكتور حسين دويدار، ويركز فيه على حياة المسلمين المدجنين في الأندلس بعد سقوط غرناطة، وبحثي يتحدث عن سياسة الدولة الإسبانية تجاه المدجنين قبل سقوط غرناطة، وهناك بحث بعنوان: دراسة حول المدجنين في مملكتي قشتالة وبلنسية– دراسة في أحوالهم العامة، للطالبين: علي صيهود وعلي هاشم. وقد استفاد البحث من المعلومات التي أورداها، ولكن في المقابل وجدت هذه الفترة اهتماماً خاصاً من الكتاب والمؤرخين النصارى، واعتبروها البداية العملية لحركة الاسترداد الإسبانية، وامتداداً طبيعياً لحركة الحروب الصليبية التي تدور رحاها وقتئذٍ في المشرق الإسلامي، فجاءت كتاباتهم في شكل تقارير، الهدف منها توجيه الدولة وإرشادها بمعاناة المسلمين، وما ينبغي أن تقوم به الدولة والكنيسة تجاههم، وقد استفاد البحث من المعلومات التي أوردها هؤلاء الكتاب خاصة: هارفي، وليا.. وغيرهما.

ويركز هذا البحث على إبراز سياسة الدولة الإسبانية تجاه المسلمين المدجنين في ثلاثة محاور: المحور الأول بعنوان: الانهيار التدريجي للدولة الإسلامية الأندلسية، وتناول المحور الثاني: سياسة إسبانيا النصرانية تجاه المدجنين، وجاء المحور الثالث تحت عنوان: ثورات المدجنين ضد الاضطهاد الإسباني، ثم الخاتمة التي تضمنت أهم نتائج البحث.

المحور الأول: الانهيار التدريجي للدولة الإسلامية الأندلسية

لم يأت انهيار الدولة الإسلامية الأندلسية فجأة، وإنما اتخذ مراحل عدة، وقد بدأت ملامح الضعف تظهر عليها منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وذلك عقب سقوط الدولة الأموية والعامرية عام422هـ/ 1031م[4] وجاء سقوط

الدولة الأموية نتيجة للصراعات الحزبية المعارضة كالخوارج والشيعة، وقيام النزاعات القبلية بين العرب اليمانية والقيسية، والصراع بين العرب والبربر.. كل هذه الأسباب تضافرت لتعجل بسقوط الدولة الأموية في الأندلس، وبدأ فيما يعرف بعصر ملوك الطوائف (422– 484هـ/ 1031– 1091م) حيث انقسمت الدولة إلى دويلات متناحرة بلغت 22 دولة[5] حكمت حوالي سبعين عاماً، من الصراعات والفوضى. فاستحالت الأندلس بعد أن كانت كتلة موحدة تمتد من ضفاف نهر دويرة شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً، ومن شاطئ البحر الأبيض المتوسط شرقاً حتى شاطئ المحيط الأطلنطي غرباً، إلى أشلاء ممزقة، ورقاع متناثرة، ولجأ بعض حكامها يطلبون المساعدة من حكام إسبانيا النصارى، على محاربة إخوانهم المسلمين، في مقابل الحصول على مال أو قلاع أو أراض أو مدن إسلامية،[6] وفي الوقت الذي كانت تتداعى فيه أركان الدولة الأندلسية، كانت جبهة النصارى تشهد توحداً وانسجاماً، تحت راية ما يعرف بحركة الاسترداد،[7] رغم الخلافات التي كانت بينها. فأخذت تنمو وتتسع حتى سيطرت على جميع المناطق الشمالية الغربية، وتكونت منها مملكة ليون[8] وأحاطت نفسها بحصون وقلاع اتحدت فيما بينها وكونت مملكة مستقلة خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عرفت بمملكة قشتالة،[9] واتحدت معها مملكة أراغون[10]، ومملكة البرتغال[11] وكانت قشتالة أقوى الممالك النصرانية، وأكثرها موارد، فاتحدت مع ليون تحت صولجان الملك الفونسو السادس[12] أشهر ملوكها، وعندما أنس من نفسه القوة قاد جيوشه وحاصر مدينة طليطلة عام 478هـ/ 1085م[13] ولم يقبل التسوية إلا بسقوط المدينة كاملة، وكان يحكم طليطلة أسرة بني ذي النون،[14] وبالفعل تم تسليم المدينة في غرة صفر عام 478هـ/ 25 مايو 1085م، وتوجه الملك الفونسو إلى المسجد الكبير وحوله إلى كاتدرائية طليطلة، وطلب من المسلمين مغادرتها، وهي أول قاعدة إسلامية كبيرة تسقط في يد الدولة الإسبانية[15] وأصبحت طليطلة عاصمة لمملكة قشتالة.

وعندئذٍ تطورت الحوادث بسرعة، واتجه الأندلس الجريح إلى إخوانه المسلمين في المغرب، يستنصر بهم، فتدفقت الجيوش المرابطية إلى سهل الزلاقة بالأندلس، بقيادة زعيم

المرابطين يوسف بن تاشفين، واستطاع المرابطون أن يهزموا الصليبيين في معركة الزلاقة عام 479هـ/ 1086م،[16] وأن يعيدوا الاستقرار النسبي للأندلس. ولكن حكم المرابطين لم يطل في الأندلس، فقد حكموا حوالي ستين عاماً فقط (479- 541هـ). وسرعان ما نشبت الصراعات والثورات ضدهم في المغرب بقيادة المهدي بن تومرت زعيم الموحدين، فتواجه المسلمون المرابطون والموحدون يقتل بعضهم بعضاً، في معركة البحيرة بالمغرب عام 524هـ/ 1130م[17] والعدو أمامهم يتربص بهم جميعاً، وبعد جولات من الصراع تمكن الموحدون من هزيمة المرابطين والاستيلاء على المغرب والأندلس، وهنا شعر الفونسو الثامن ملك قشتالة وليون بالخطر، وقاد جيوشه واصطدم بالموحدين في معركة الأرك عام 591هـ/ 1195م[18] التي انتصر فيها الموحدون بقيادة السلطان أبي يوسف يعقوب، وتم توقيع هدنة بين الطرفين، فاستغل الفونسو فرصة الهدنة لتعبئة جيشه، وتنظيمه، وقام باستنفار كل أوروبا ضد المسلمين في الأندلس، وبعث الأساقفة إلى البابا أنوسنت الثالث في روما، يناشده إعلان الحرب الصليبية في أوروبا، والتوجه إلى إسبانيا لقتال الموحدين، وأطلق صيحته المشهورة (كلنا صليبيون). فتوافدت على طليطلة جموع النصارى المتطوعين من كافة أنحاء إسبانيا وأوروبا، فقد أنذرهم البابا بتوقيع عقوبة الحرمان الكنسي على كل ملك أو أمير يتأخر عن مساندة ملك قشتالة، حتى تجمع لديه أكثر من مائة ألف مقاتل[19]. وخرج الناصر الموحدي للقائهم، بجيش يضم أهل المغرب والأندلس، والتقى الجيشان في حصن العقاب[20]، ودارت المعركة في رمضان عام 609هـ/ يوليه 1212م، وكانت جيوش قشتالة وليون والبرتغال تشكل قلب الجيش الصليبي، وجيوش مملكتي أراغون ونبرة بقيادة مليكيهما تشكلان جناحي الجيش، فأطبقا على الجيش الموحدي من كل جانب، فاستسلم الموحدون للهزيمة القاسية، وتسلل الضعف إلى الدولة الموحدية، وبدأ الانهيار التدريجي للدولة الإسلامية بالأندلس[21]. ومنذ ذلك الوقت شعرت مملكة قشتالة المتحدة القوية بأن الفرصة قد سنحت لها لاستكمال مشروع استرداد بقية مدن الأندلس من يد المسلمين، وبادر ملكها فردناند الثالث بغزو الأراضي الإسلامية عام 631هـ/1232م، وكانت معظم القواعد والحصون المتاخمة لقشتالة دون دفاع يذكر، فافتتح عدداً من المدن

والحصون في عام 631هـ/ 1232م، وأخذت قواعد الأندلس الشرقية والوسطى تسقط تباعاً في أيدي النصارى، وعبرت الجيوش النصرانية نهر التاجة في وسط شبه الجزيرة الإيبيرية، فسقطت بياسة عام 623هـ/ 1226م، وجزيرة ميورقة عام 627هـ/ 1229م وبطليوس عام 627هـ/ 1230م، ومارِدة عام 628/ 1231م، وسقطت قرطبة وإستجة عام 633هـ/ 1236م، وبلنسية عام 636هـ/ 1238م وجيان عام 643هـ/ 1246م، وشاطبة عام 644هـ/ 1247م، وأشبيلية عام 644هـ/ 1248م.. وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها قد سقطت في يد إسبانيا النصرانية[22]. ولم يجد حكام المسلمين المتنازعين ملجأً سوى الاستسلام للأمر الواقع، ولجأ بعضهم إلى سياسة التقية وتوقيع العهود والاتفاقيات مع ملوك النصارى للمحافظة على ما تبقى من حكمهم تحت إشراف الدولة الإسبانية وقوانينها الجائرة، وبذلك فقد المسلمون معظم مدنهم وأراضيهم، ولم يتبق من الأندلس سوى غرناطة التي صمدت لمدة مائتين وخمسين عاماً أخرى، بسبب تعاون مؤسسها ابن الأحمر[23] مع سانشو ملك قشتالة. حيث وقع معه اتفاقية عام643هـ/ 1246م تنص بتبعية غرناطة لقشتالة عسكرياً، وأطلق النصارى على الأراضي الأندلسية التي استولوا عليها اسم: الأراضي المحررة، وأطلقوا على المسلمين السكان اسم: المدجنين[24] للتقليل من شأنهم، وفرضت عليهم سياسة تهدف إلى طمس هويتهم وتنصيرهم بشكل تدريجي.

المحور الثاني: سياسة إسبانيا النصرانية تجاه المدجنين

كانت إسبانيا النصرانية خلال انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس تتشكل من عدة ممالك، أهمها: قشتالة وليون وأراغون ونافارا، بالإضافة إلى مملكة البرتغال التي كانت تحكم المنطقة الغربية من شبه الجزيرة الإيبيرية، وكانت قشتالة تشكل أكبر الممالك الإسبانية رقعة، وأوفرها قوة وموارد، وبالرغم من الخلافات القديمة بينها، إلا أنها اتحدت جميعها في مواجهة الوجود الإسلامي في الأندلس، من أجل تحقيق الغاية القومية التي

رسمتها حركة الاسترداد الإسبانية منذ قرون، وهي القضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس.

وهذا ما أكده أحد المؤرخين بقوله: إن حروب الاسترداد كما يسميها الغرب ماهي إلا حملة صليبية ليس الهدف منها إسقاط الكيان السياسي للمسلمين وحده، وإنما تهدف إلى طمس أثر المسلمين في الأندلس[25]. ولتحقيق هذا الهدف، وفي ظل تيار الحماس الديني، اتخذت إسبانيا قراراً سياسياً عاماً بطرد المسلمين المدجنين من المدن والقرى والأراضي المحررة، وإحلال مواطنين إسبان وأوربيين غربيين محلهم، ولكن هذا القرار لم تستطع إسبانيا تطبيقه للأسباب الآتية:

أولاً– كان عدد المسلمين المدجنين كبيراً، يقول المؤرخ هارفي: إن عدد المسلمين في الأندلس خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (12 و13م) يبلغ حوالي ستة ملايين ونصف،[26] وكان وجود غرناطة ككيان إسلامي قوي يشكل ملاذاً للمسلمين. فإذا هجروا سيتجه معظمهم إليها، وسوف تستقوي بهم غرناطة، ويشكلون خطاً دفاعياً جديداً يزيد من مهددات الدولة الإسبانية، خاصة إذا استعانت غرناطة بالمغرب، ولهذا لابد من التمهل إلى حين التخلص من غرناطة ولو بعد حين.

ثانياً– وجدت هجرة المدجنين معارضة قوية من نبلاء قشتالة وأراغون، فقد كانوا ساعد النبلاء الأيمن في زراعة أراضيهم واستغلالها، وكانوا يستأثرون بالتفوق في العلوم والفنون والمهن، وكان منهم أبرع الأطباء والمهندسين والبنائين، وكان لهم الفضل الأول في إدخال محاصيل عديدة في إسبانيا النصرانية، مثل القصب والقطن والأرز والحرير والتين والبرتقال واللوز.. فمن مصلحة الدولة ومصلحة النبلاء الإبقاء على المسلمين. فما الفائدة من مدن خاوية؟ فعندما سقطت قرطبة لم يجد القشتاليون سوى المسلمين المدجنين لملئ المناصب الإدارية داخل المدن، والمواقع الصناعية والتجارية[27]، لاسيما وأن المستوطنين الجدد من نصارى أوروبا لم يكونوا مؤهلين علمياً أو فنياً لسد مكانة المسلمين.

ثالثاً– كانت إسبانيا النصرانية تخشى انتقام المسلمين في غرناطة من النصارى المقيمين معهم، كما كانت تخشى من رد فعل المسلمين في بلاد المغرب والدول الإسلامية الأخرى مثل مصر وتركيا[28]، ولكل هذه الأسباب وغيرها تركت الدولة الإسبانية المسلمين المدجنين يعيشون في بلادهم ولمدة تجاوزت قرنين ونصفًا من الزمان، وقد فرضت عليهم سياسة خاصة تهدف إلى طمس هويتهم، وإضعاف شوكتهم، ليسهل تنصيرهم، وترك أمر تنفيذها لكل مملكة بحسب ظروفها، وحسب أحوال المسلمين فيها، فصدرت ضدهم عدد من القوانين والتشريعات والقرارات الظالمة التي طالت كل جوانب حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن تلك السياسات التي طبقتها الدولة الإسبانية على المسلمين المدجنين:

1- مصادرة المساجد وتحويلها إلى كنائس فور دخول الجيوش القشتالية في المدن الإسلامية، ومنع المسلمين من دخولها، كما أجبر المسلمون على العمل في الكنائس، وصنع التماثيل، وتغيير معالم الآثار الإسلامية إلى آثار مسيحية [29].

2- أصدر الملك شارل الأول عام (933هـ/ 1029م) مرسوماً يقضي بمنع المسلمين من الاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية، وأُجبر المسلمون المدجنون على الاحتفال بالأعياد المسيحية، كعيد ميلاد المسيح، وعيد الفصح وغيرها[30]. كما يجب على كل مسلمة حامل أن تحضر قابلة مسيحية تعينها على الوضع، كما تضمن القرار إلزام المسلمين المنصرين بترك أبواب منازلهم مفتوحة في أيام الأعياد والجمعة والسبت، كما يمنعون من تسمية أبنائهم بأسماء عربية.

3- عقب ظهور الحركة اللوثرية في ألمانيا عام 1525م سخرت السلطات القشتالية كل قواها لحماية الكاثوليكية في إسبانيا من أعدائها المسلمين والبروتستانت[31]، وهم النصارى الإسبان الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي، وبدأت مرحلة جديدة من التنكيل والقتل والتشريد لكل من له أصل عربي مسلم؛ لتبقى ممالك إسبانيا هي المهيمنة، والقوى العظمى للمسيحيين في أوروبا، هذا بالرغم من أن المسلمين المدجنين في إسبانيا لا صلة لهم بالصراع البروتستانتي الكاثوليكي.

4- وإمعاناً في حرب المسلمين والتضييق عليهم، اتخذت السلطات الإسبانية قراراً بإنشاء منظمات كنسية ذات صبغة عسكرية، سميت (جماعة الفرسان الدينية) مثل: فرسان القنطرة، وفرسان قلعة رباح..[32] على غرار فرسان الداوية والإسبتارية[33]، التي نشأت في المشرق الاسلامي خلال الحروب الصليبية؛ لتؤدي أدواراً عسكرية مهمة في مساعدة الصليبيين، فكان لقيامها في إسبانيا أثر فاعل في الدفاع عن الأراضي الإسبانية، وبث الروح الصليبية في ملوك قشتالة وأراغون والبرتغال.. وانضم إليها الرهبان المتحمسون الذين عملوا على حشد جيوش النصارى ضد المسلمين، فكان تدخلهم في كثير من الأحيان يؤدي إلى النصر والإنقاذ للجيوش النصرانية.

5- أصدرت الدولة الإسبانية في أواخر القرن السابع الهجري (13م) قانوناً يحرم على المسلمين واليهود شراء الأراضي من النصارى، وكان يسمح للمدجنين بحمل السلاح، ويلزمون بتأدية الخدمة العسكرية، ثم أعفي المدجنون بعد ذلك من الخدمة العسكرية نظير جزية يؤدونها سنوياً، وكان انضمامهم إلى الجيوش النصرانية يقع في حدود نسبتهم العددية، وكان يخصص للمسلمين المدجنين في كل مدينة مفتوحة حيا خاصا لإقامتهم، يفصل بينه وبين أحياء النصارى سور ضخم[34].

وهكذا تستغل الدولة الإسبانية المسلمين المدجنين في تجنيدهم بالجيش لمحاربة إخوانهم الذين لم يخضعوا للدولة بعد، ثم إعفائهم منه مقابل مبلغ مالى، ولا يسمح لهؤلاء المجندين المدجنين السكن مع الجنود النصارى، حتى وهم في جبهات القتال.

وكانت هذه السياسة تجد تأييداً واضحاً من الكنيسة الكاثوليكية، وتعتبرها نوعاً من التسامح، يقول المؤرخ ليا: وكانت الكنيسة تبغض هذه الطوائف الإسلامية القائمة في قلب المجتمع النصراني، وتنقم على المدجنين هذه الدعة، وهذا التسامح، فأخذت البابوية تصدر الأوامر والقرارات المتتالية ضد المدجنين، والحض على استرقاقهم، أو تنصيرهم، ومن ذلك ما أمر به البابا أنوسان الرابع في سنة 646هـ/ 1248م ملك أراغون خايمي الأول[35]

بوجوب استرقاق المسلمين في الجزائر الشرقية، ولكن خايمي لم يأبه لهذا القرار، ونظر إلى مصلحة بلاده، كما سبقت الإشارة، فاستبقاهم كمدجنين[36]. وهذا ما جعل بعض المؤرخين يرون أن مسلمي أراغون كانوا مع ذلك أفضل حالاً من مسلمي قشتالة والبرتغال، فقد حافظوا علي هويتهم ودينهم خاصة في القرى وبعض مدن الشرق الأندلسي مثل بلنسية ودانية ومرسية وشاطبة، وكان منهم من يعمل حرساً خاصاً للملك بيدرو القاسي[37] (720- 768هـ/ 1320- 1369م) كما كان وزيره يهودياً، خلافاً لكل ملوك الكاثوليك الإسبان.[38]

هذا وقد تعرض المسلمون المدجنون في قشتالة والبرتغال لأقصى درجات التنكيل، واتبعت معهم الدولة سياسة التنصير التدريجي، وذلك بإصدار التشريعات والقوانين التي تجعلهم يضطرون إلى التخلي التدريجي عن عقيدتهم، ونسيان ثقافتهم ولغتهم العربية، بانصهارهم في المجتمع المسيحي، وذلك عن طريق المصاهرة بين المدجنين والقشتاليين، وتعليمهم اللغة القشتالية بدلاً عن اللغة العربية، وبمرور الوقت تطورت هذه السياسة إلى التنكيل والاضطهاد المنظم، فهرب الكثير منهم إلى غرناطة، ومن بقي طبقت عليه القوانين الجائرة. يقول المؤرخ ليا: "وكانت توكل إليهم الأعمال الشاقة بمبلغ زهيد، وبلا مقابل في بعض الأحيان، كما تم تجميعهم في أحياء سكنية خاصة، أقل درجة من أحياء المستوطنين النصارى، حتى يتسنى لهم نقل مستوطنين من أوروبا وإحلالهم في ديار المسلمين، كما تم إلزام المسلمين واليهود بلباس خاص وشارة تميزهم، وهي عبارة عن شارة صفراء توضع في صدورهم[39]".

كما تم وضع قوانين تقيد حركتهم، جاء فيها:

1- لا يجوز لمسلم أن يستخدم مسيحياً في عمل، ومن يخالف ذلك تصادر أمواله ويسترق.

2- لا يسمح لمسلم دخول منزل مواطن مسيحي، إلا أن يكون طبيباً.

3- من يرحل عن الديار ويمسك به يعتبر أسيراً، وملكاً لمن يمسك به، وتصادر أملاكه.

4- تحريم ركوب الخيل والتزين بالذهب والفضة للرجال والنساء.

5- يمنع المسلمون من حمل السلاح أو اقتنائه.

6- من يعارض تعميد وتنصير أحد أبنائه، يحكم عليه بالسجن وغرامة فادحة، فيضطرون إلى قتل أولادهم بدل أن ينصروا.[40]

كما استهدفت اللغة العربية بشكل ممنهج باعتبارها لغة الثقافة والعلوم الإسلامية في الأندلس، ولهذا قامت الدولة الإسبانية بحظر اللغة العربية كلغة رسمية للحكم والقضاء والدواوين الحكومية في الممالك المسيحية.

وقد زاد التضييق على اللغة العربية ومحاربتها بعد سقوط غرناطة في يد النصارى، فقد أصدر الملك شارل الأول قراراً في سنة 933هـ/ 1529م منع فيه التخاطب باللغة العربية، أو الكتابة بها، أو استخدامها في العقود والمعاملات، إلا أن المدجنين في بلنسية استطاعوا الالتفاف على هذا القرار، إذ أرسل سكان المدينة المذكورة وفداً إلى الملك شارل الأول يطلبون منه السماح لهم بالاستمرار في استخدام اللغة العربية، فوافق الملك على السماح لهم باستخدامها لمدة عشرة أعوام[41].

كما منع المسلمون المدجنون في بلنسية من ارتداء الملابس الإسلامية إذ تضمن قرار التنصير الذي أصدره الملك شارل الأول فقرة تخص الملابس الإسلامية، إلا أن أغنياء بلنسية استطاعوا إقناع الملك بغض النظر عن هذه الملابس لمدة أربعين عاماً.[42]

وفيما يخص الطعام، فقد كان امتناع المسلمين من تناول الأطعمة ذات الصلة بالعادات والتقاليد النصرانية يعد جريمة تعرضهم للملاحقة القضائية؛ لأن قبول نوع معين من الطعام والامتناع عن نوع آخر يعد دليلاً كافياً للمحاكم التأكد من أن المسلمين مازالوا يمارسون شعائر الإسلام بشكل سري، وأن قبولهم للديانة المسيحية أمر شكلي زائف[43]. وفيما يخص الحمامات، نجد أن الأندلس اشتهرت بحماماتها، تقول زيغريد هونكة: أن حمامات مدينة قرطبة وحدها بلغت ستمائة حمام[44]، ولكن عقب اجتياح الجيوش النصرانية للأندلس، منعت السلطات النصرانية المسلمين المدجنين من ارتياد الحمامات،

إلا في أوقات محددة، كذلك حرم عليهم ترميم أبنيتها، بحجة الخوف من اتخاذ المسلمين لهذه الحمامات أماكن لممارسة الشعائر الإسلامية[45].

وكذلك حرم على المسلمين المدجنين في بلنسية دفن موتاهم على الطريقة الإسلامية، واعتبر ذلك الدفن دليلاً كافياً على ارتباط المسلمين المنصرين بدينهم الإسلامي، فيتعرضون للمساءلة والمحاكمة، ومن القوانين الصارمة التي صدرت من ملك إسبانيا ضد المسلمين المدجنين، الحظر على المسلمين ذبح ذبائحهم على الطريقة الإسلامية، كما صدرت مراسيم خاصة بالزواج، وأن يكون الزواج من مسيحية أصلية، وأن تتزوج المسلمة المنصرة أو المدجنة من مسيحي أصيل، ومنع المسلم المنصر من الزيارات إلى خارج غرناطة بعد سقوطها بيد الإسبان[46]. وبالتأكيد فإن هذه السياسة الظالمة، والضغوط النفسية المستمرة، قد أضعفت من قوى المسلمين المدجنين، ولم يجدوا أحداً من إخوانهم المسلمين في المشرق أو المغرب، من يمد لهم يد العون، أو يسأل عن حالهم طوال قرنين ونصف من الزمان، بينما كانت الدولة الإسبانية تجد كل الدعم من البابوية في روما، وقبيل قيام ثورة المدجنين أمرت البابوية في روما الملك خايمي ملك أراغون أن يقسم أمام مذبح العذراء في كنيسة بلنسية بإبادة المسلمين في مملكته، مقابل تنازل البابوية له عن حصته في الضرائب التي يدفعها للكنيسة، والتي تسمى ضريبة العشر، فأقسم الملك خايمي[47] على ذلك والتزم بها علناً، وبذلك تخلى الملك خايمي عن حماية المسلمين، مما فتح الباب على مصراعيه أمام العصابات والأشقياء الإسبان، التي اتخذت من حصن اليقنت القريب من مدينة بلنسية مقراً لها، وبدأت بمهاجمة القرى التابعة للمدينة، وخطف الناس من الشوارع والحقول، وبيعهم كرقيق في الأسواق، فضلاً عن نهبهم لدور المسلمين، بدون أي وازع من ضمير، ولا رادع من دين أو سلطة [48].

وأمام هذه المظالم المتراكمة، رفع المسلمون عدة شكاوى للملك خايمي يطلبون منه وضع حد لهذه التجاوزات، إلا أن مطالبهم لم تجد أذناً صاغية، واكتفى الملك خايمي بأن سمح لهم بترك الأودية والسهول التي يعيشون فيها، والاستقرار في المناطق المحصنة

والمرتفعة،[49] وقد اعترف المؤرخ الإسباني هارفي بتلك المظالم وتناقضاتها بقوله: ".. والخلاصة أن التشريعات التي أصدرتها الدولة الإسبانية تجاه المسلمين المدجنين كانت متناقضة، ففي ظاهرها التسامح، وفي حقيقتها طرد المسلمين من الأندلس؛ لأن القضاء على الشعائر الإسلامية كالصلاة والصوم والزكاة.. وسائر العبادات هو محاربة للإسلام والمسلمين"[50].

وهذه الحرب على الشعائر الإسلامية لم تكن في بلنسية وحدها، وإنما طالت كل الممالك الإسبانية الأخرى، مثل قشتالة والبرتغال.. وقد أدت هذه السياسات المتقلبة فيما بعد إلى مزيد من سفك الدماء[51].

والشيء الذي لفت أنظار المؤرخين الأوربيين عموماً، وعلقوا عليه بحماس، هو أنه بالرغم من هذه السياسات الظالمة، فإن المسلمين المدجنين ظلوا متمسكين بعقيدتهم الإسلامية بشكل كبير يفوق التصور. ويواصل هارفي: وكانوا مستعدين للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الاستمرار في ممارسة الشعائر الإسلامية، فهم بحق ينطبق عليهم قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (والمتمسك يومئذٍ بدينه كالقابض على الجمرة)[52]. رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

وأمام هذا الواقع المرير الذي اعترف به حتى المؤرخون النصارى، أصبح المسلمون المدجنون أمام خيارين لا ثالث لهما: إما الهجرة أو الثورة، أما الهجرة فهي خيار صعب المنال، لتضييق السلطات عليهم بهذه القوانين، بالإضافة إلى أن الخروج مشروط بدفع المهاجر قدراً من المال ذهباً، حتى تأذن له السلطات بالانتقال، وكان معظم المدجنين فقراء، كذلك فإن الطرق التي يسلكها المهاجرون إلى المغرب لم تكن آمنة، وأمام هذه الموانع والمخاطر لم يكن أمام المسلمين المدجنين سوى ركوب الأسنة، وهي الثورة ضد ملوك إسبانيا المسيحية.

المحور الثالث: ثورات المدجنين ضد الاضطهاد الإسباني

جاءت ثورة المسلمين المدجنين في الأندلس، كنتيجة طبيعية لتلك السياسة الظالمة التي طبقتها عليهم الدولة الإسبانية النصرانية، ولم يرتكب المدجنون جرماً يستحقون فيه تلك العقوبات، وبذلك فشلت الدولة الإسبانية في توفير الأمن لهم كمواطنين يمارسون حياتهم وعقيدهم بسلام، ويحافظون علي هويتهم، ولهذا تفجرت الثورة في مدينة بلنسية التابعة لمملكة أراغون، في عام 652هـ/ 1246م، والتي كان يحكمها الملك خايمي الأول (604- 675هـ/ 1208- 1276م) وقد احتفظت بلنسية بأعداد كبيرة من المسلمين تفوق المدن الأخرى، بسبب ضعف تدفق المسيحيين إليها، وكان عدد الثوار حوالي مائة وخمسين ألفاً، يتزعمهم رجل يسمى ابن الأزرق[53] وانطلق الثوار من وادي شقرة، واستولوا على أربعين حصناً ومعقلاً، دفعة واحدة في منطقة شاطبة ولقنت .. وعمت الثورة مدناً أخري بنسب متفاوتة، وأرسل الثوار إلى أبي عبدالله أمير غرناطة[54] يطلبون النجدة، ولم يكن بمقدور الملك خايمي الأول مواجهة الثورة، فطلب الهدنة، وخلال الهدنة توفي الملك خايمي الأول، فترك وصية لابنه وخليفته بدرو الثالث بطرد المسلمين المدجنين من بلنسية، وجاء في وصيته: (لقد تقدمنا بالوعد أمام مذبح العذراء في بلنسية، بأن نخرج المسلمين من أرضنا، وذلك مقابل تنازل البابا عن العشر، فإننا نرجو من ولي العهد دون بدرو أن يطرد جميع المسلمين من مملكة بلنسية، وأن لا يبقي فيها منهم أحداً لأي سبب كان، حتى ولو دفعوا ما عليهم)[55].

وتشير المصادر الإسبانية إلى أن بابا روما اعتبر هذه الثورة تمرداً على الدولة الإسبانية، وربط ذلك بمقاومة المسلمين للغزو الصليبي في المشرق، وأنه لابد من طرد المسلمين من بلنسية، فبدأ بدرو بإقصاء المسلمين من شاطبة بشكل جماعي والتي اعتبرها بؤرة الثورة، واستمرت الثورة حوالي ثلاث سنوات، ولم تهدأ إلا بعد قتل زعيمها ابن الأزرق في كمين أعد له، كما فقدت الثورة معظم شبابها، ولم يصلها دعم من غرناطة أو المغرب، ورغم نهاية الثورة إلا أنها سببت حرجاً كبيراً للدولة الإسبانية، وهاجر معظم المدجنين إلى

غرناطة، وظلوا فيها حتي سقطت في يد الدولة الإسبانية عام 897هـ/ 1492م وأطلق على المسلمين المدجنين اسم (المورسيكيين)[56] أي المسلمون الجدد.

الخاتمة:

وفي الختام توصل البحث إلى عدد من النتائج نوجزها في الآتي:

- أكد البحث على أهمية تاريخ المسلمين المدجنين في الأندلس؛ لأنه يشكل فترة ظلم تاريخي وقع على المسلمين، منذ بداية انهيار دولتهم عام 609هـ واستمر لحوالي ثلاثة قرون، تحول فيها المسلمون ـ بعد أن كانوا حكاماً ـ إلى مواطنين تابعين للدولة الإسبانية. واللافت أن هذا التاريخ لم يجد اهتماماً من المؤرخين المسلمين، وربما اعتبروها فترة ضعف وإذلال.. بينما وجدت اهتماماً كبيراً من الكتاب والمؤرخين النصارى، واعتبروها انتصاراً لحركة الاسترداد الإسباني، وامتداداً للحرب الصليبية في أوروبا والمشرق الإسلامي.
- كشف البحث أن الممالك النصرانية التي اتحدت ضد الدولة الأندلسية اتفقت على تنفيذ مخطط حركة الاسترداد الإسبانية منذ قرون، وهو القضاء على الدولة الإسلامية بالأندلس، وتم كل ذلك بالتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية في روما.
- اتضح أن سقوط الأندلس التدريجي جاء نتيجة للصراعات الداخلية والتقسيمات القبلية والمذهبية التي أضعفت قوى الدولة، في وقت كانت تتحد فيه الممالك النصرانية، وتتسلح، وتجيش الجيوش من أوروبا، وتتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة الإسلامية.
- ظهر لنا أن اجتياح الجيوش الإسبانية للأندلس لم يجد أي دفاعات أو مقاومات تذكر، عقب سقوط دولة الموحدين، مما سهل للدولة الإسبانية اجتياح الأراضي الإسلامية، والسيطرة عليها وتدجين سكانها المسلمين وفرض سياستها عليهم.
- أوضح البحث أن المدجنين كانوا يشكلون قوة علمية ومهنية مؤثرة، أجبرت الدولة

الإسبانية في البداية إلى إلغاء قرار تهجيرهم قسرياً إلى غرناطة أو المغرب، وإبقائهم للاستفادة منهم في شتى مرافق الدولة الحيوية.

- كشف البحث عن السياسة التي طبقتها الدولة الإسبانية على المسلمين المدجنين والتي برزت في شكل قوانين وقرارات تهدف إلى إضعاف عقيدتهم، وطمس هويتهم، حتى يسهل تنصيرهم، أو دمجهم في المجتمع الإسباني تدريجياً.
- أشار البحث الى اعتراف المؤرخين النصارى بتمسك المسلمين المدجنين بعقيدتهم، وممارسة شعائرهم الدينية برغم تلك السياسات الظالمة، والتي تطورت إلى اضطهاد ممنهج، أدى إلى الثورة التي عمت بعض المدن في منطقة بلنسية وسببت حرجاً كبيراً للدولة الإسبانية.
- تبين لنا أن وجود غرناطة كقوة إسلامية كان يشكل سنداً معنويا للمدجنين، وهاجساً أمنياً مخيفاً للدولة النصرانية، فاضطروا إلى التعامل معها، الأمر الذي أدى إلى تأخر سقوطها وبقاء حكمها بحدود ثلاثة قرون من الزمن.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر العربية:

- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، توفي(367هـ-977هـ) تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس، دار الكتاب المصري اللبناني، 1410هـ/1989م .
- الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري، توفي (900هـ /1995م) تعليق ليفي بروفنسال، تحقيق إحسان عباس، نشر مكتبة لبنان، 1984 م.
- أشباخ، يوسف أشباخ، توفي (1882م) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1423هـ.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد، توفي (821هـ/ 1418م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، 1427هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، توفي (808هـ/1406م)، بيروت، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/ 1988م.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله، توفي (257هـ/870م) فتوح مصر والمغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.
- عبد الواحد المراكشي، ت (647هـ/1250م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م
- المقري، أحمد المقري التلمساني، ت (1041هـ/1632م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، 2015م.

ثانياً: المراجع العربية:

- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، 1987م.
- حسين يوسف دويدار، المسلمون المدجنون في الأندلس، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1424هـ/ 1993م.
- خوليو كارو باروخا، مسلمو مملكة غرناطة بعد عام 1492، ترجمة الدكتور أحمد صابر، نشر عام 1991م.

- زيغريد هونكة، ت (1999م) شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار صادر، بيروت، 2012م .
- سعيد عاشور ت (2009 م) الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي، دار القلم، مصر، 1964م.
- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق 1981
- عنان، محمد عبد الله، ت (1406هـ/1986م) دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، 7 أجزاء القاهرة، 2017م.
- تاريخ العرب في إسبانيا، دار الوراق، القاهرة، 2017م.
- تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين– العصر الثالث، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1990م
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م
- غارثيا أردينال، تحقيق عبد الله جمال الدين، المسلمون المنصرون أو المورسيكيون – صفحة من تاريخ المسلمين في الأندلس، دار الصحوة، القاهرة، 1995م.
- محمد رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس وإسبانيا في عصر بني أمية وملوك الطوائف، 1986م
- محمود شيث خطاب، قادة الفتح الأندلسي، دار لبنان للطباعة والنشر، مؤسسة علوم القرآن للنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ/ 2003م.

ثالثاً: الدوريات والمجلات المحكمة:

- موسوعة إسبانيا الإسلامية للعيدروسي– العصر الأندلسي، العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م.
- علي مسلم صيهود وعلي حسن هاشم، دراسة حول المدجنين في مملكتي قشتالة وبلنسية– دراسة في أحوالهم العامة، بحث منشور، كلية التربية، الأردن، 2012م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Carr Mathew, Blood and faith, Press, isbn, 2009
- Chytor, H. J. Ahistory of Aragon and Catalonia, London, 193
- Estaben Sarasa Sanchez, Arte Mudajare, en Aragon, Leon, Castella, Extrimadura y Andalucia, 1911.

- Harvey, L. P. Islamic Spain, 1250 to 1500, Chicago University, press 2019. 19
- Harvey, L. P. Muslims in Spain 1500 to 1614, Chicago University, Press,
- Isabel A. O. Connor, Aforgotten Community The Mudejare Aljama of Jativa 1240 –1327, Brill, Leiden, Press, 2003.
- Juan Torres Fontes, LOS Mudejares Mureianos en el siglo XIII, Murcia, 1961.
- Encyclopedia Brittanica 1th ed, Cambridge University Press, 2018.

الهوامش:

(1) ابن القوطية، أبوبكر بن محمد القرطبي (ت: 367هـ / 977م) تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، عبدالله أنيس، دار الكتاب المصري اللبناني، 1984م ص،211 وينظر، أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم، (توفي عام 257هـ/ 870م) فتوح مصر والمغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص، 112.

(2) المقري، أحمد المقري التلمساني، توفي عام (1041هـ) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج2، دار صادر، 2015 م، ص 582.

(3) عنان، محمد عبدالله توفي عام (1406 هـ/ 1986م) دولة الإسلام في الأندلس ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1442هـ، ص 342.

(4) أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، توفي عام (596هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الغرب. الإسلامي ج2، 1438هـ، ص247

(5) عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، 1966م ص 184.

(6) الحميري، محمد بن عبد المنعم، توفي عام (900هـ) صفة جزيرة الأندلس، تحقيق ليفي بروفنسال، (د.ت) المغرب، ص 275.

(7) Robert , Aforgotten community ,P75 .

(8) مملكة ليون: ثالث الممالك الإسبانية، تربعت على مساحة صغيرة من شبه الجزيرة الأيبيرية، وعرفت بقوتها وحصانة موقعها، وشاركت إلى جانب قشتالة في معاركها ضد المسلمين، وخاصة معركة العقاب ضد الموحدين عام 609هـ/ 1212م. ينظر عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ص595.

(9) مملكة قشتالة: وبالإسبانية تعني القلعة، وهي واحدة من ممالك القرون الوسطى في شبه الجزيرة الأيبيرية، وكانت جزءًا من مملكة ليون، واستقلت بها، واستطاعت خلال القرن السابع الهجري من توسيع نفوذها، فشملت أراضيها قشتالة القديمة، وجليقية، والفرنتيرة، وأشبيلية وجيان وطليطلة، وكانت تقود الصراع بين النصارى والمسلمين. ينظر، الحميري، صفة الأندلس، ص58.

(10)أراغون: كانت إحدى ممالك العصور الوسطى في شبه الجزيرة الإيبيرية، قامت في الجزء الشمالي الشرقي من إسبانيا، واتسعت لتصبح مملكة تضم إمارة كتالونيا، ومملكة بلنسية، ومملكة ميورقة، ومواقع أخرى أصبحت الآن جزءً من فرنسا وإيطاليا واليونان. ينظر: صبح الأعشى، للقلقشندي، ج5/416.

(11)مملكة البرتغال: تقع في غرب شبه الجزيرة الإيبيرية، تطل على المحيط الأطلسي من الناحية الغربية وتمتد أراضيها من نهر وادي بانة غرباً حتى المحيط الأطلسي ، وتشتمل على عدة مدن، مثل يابرة وأشبونة، وقلمرية. ينظر، ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص235.

(12)الفونسو السادس: (434- 502هـ/ (1041- 1109م) الملقب بالشجاع، هو الابن الثاني للملك فرناندو الأول، ملك ليون وقشتالة، وبعد وفاة والده قسمت مملكته بين أولاده الثلاثة، فكان نصيب الفونسو ليون، بينما توج أخوه سانشو ملكاً على قشتالة، وتوج غارسيا ملكاً على جليقية، وبدأوا فرض سطوتهم على ممالك الطوائف المجاورة، ففي سنة 1068م غزا الفونسو بطليوس، وقامت المعارك بين الإخوة الثلاثة انتهت بانتصار الفونسو واستولى على قشتالة وليون، وأصبح ملكاً عليها، وعندما قويت شوكته إستدار نحو ملوك الطوائف، فاستولى على طليطلة عام 478هـ/ 1085م، وكان مقاتلاً شجاعاً، قال عنه ابن الأثير: (.. وكان من أشد ملوك الفرنج بأساً، وأكثرهم تجرداً لحرب المسلمين، وأعظمهم صبراً، وكان ينام على طارقته بغير وطاء، وقيل له: هل تسريت من بنات أكابر المسلمين اللائي سبيت منهم؟ فقال: الرجل المحارب ينبغي أن يعاشر الرجال لا النساء) ينظر: عنان، سقوط الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص 97.

(13)مدينة طليطلة: هي إحدى ممالك الطوائف التي تكونت بعد انهيار الدولة الأموية بعد أحداث الفتنة التي ضربت الأندلس بين عامي 400- 422هـ. ينظر: الحميري، صفة، ص267.

(14)بنو ذي النون: أسرة أمازيغية من هوارة، حكم جدهم الظافر إسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون ثغر طليطلة في عصر ملوك الطوائف، وكانت تسمى شنتمرية. ينظر: ابن عذاري، ج3، ص277.

(15)أشباخ، عصر المرابطين والموحدين ج1 ص 469, مكتبة الخانجي، القاهرة، 1423هـ.

(16)معركة الزلاقة، تعتبر إحدى أبرز المعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي، استطاع فيها زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين، يسانده المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية إلحاق هزيمة كبيرة بالجيش النصراني بقيادة الفونسو السادس ملك قشتالة عام 478هـ /1085م. ينظر محمد رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس وإسبانيا، 1986م، ص 149.

(17)معركة البحيرة، وقعت بين المرابطين والموحدين في المغرب، عام 524هـ/ 1130م، وهي من أعنف المعارك التي وقعت بين الطرفين، مات فيها أربعون ألفاً، وانتصر فيها المرابطون على الموحدين. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج3 ص279.

(18)معركة الأرك: معركة فاصلة بين قوات الموحدين بقيادة أبي يوسف يعقوب المنصور وقوات ملك قشتالة الفونسو الثامن، عام 591هـ/ 1195م، وانتصر فيها الموحدون على جيوش النصاري، واضطر بعدها الفونسو الى طلب هدنة مع المسلمين. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 248.

(19)عنان، نهاية الأندلس، ص388.

(20)معركة العقاب: تعد إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي قاطبة، وهي بداية لتقهقر دولة الإسلام

في الأندلس، وقعت بين الموحدين بقيادة السلطان الناصر الموحدي، وجيوش النصارى بقيادة الفونسو الثامن ملك قشتالة، وكان النصر للنصاري علي جيش الموحدين في عام 609هـ/ 1212م.

(21)شيث خطاب، قادة الفتح الأندلسي، ص111.

(22)عنان، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، 1996م، ص98.

(23)بنو الأحمر: هم أسرة بني نصر الذين حكموا غرناطة منذ عام 635هـ/ 1238م وحتي سقوطها عام 897هـ/1492م وهي آخر أسرة عربية إسلامية حكمت في الأندلس، ينظر: عبدالرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، 1981م، ص367.

(24)المدجنون: من دجن وتدجن، أي ألف البيوت واستأنس، ومنه: دجن الهر، والطيور الداجنة، أي الأليفة، ينظر: معجم المعاني الجامع، واللفظ فيه تقليل من شأن المسلمين، لتشبيههم بالحيوانات الأليفة، وظل لفظ المدجنين شائعاً حتى أصدر الملك شارل الأول قراراً عام 932/ 1525م يقضي بتنصير المسلمين في بلنسية، ليحل محله مصطلح الموريسكيين، أي المسيحيون الجدد. لمزيد من المعلومات ينظر: حسين يوسف دويدار، المسلمون المدجنون في الأندلس، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، 1414هـ/1993م، ص12 وما بعدها. وينظر:

Encyclopedia Brittanica, 1th, ed Cambridge University, Press ,2018.

(25) Harvey, Musslim in spain, 1992, p120

(26) Harvey, Ibid ,p.121.

(27) تزال الكثير من الآثار الإسلامية والمسيحية في إسبانيا اليوم، تبرز براعة وفن المدجنين، وقد صدر بيان من اليونسكو بالحفاظ على التراث المدجن، فهو فن فريد يجمع بين الأصالة الإسلامية والفن القوطي القديم، والمسيحي الكاثوليكي، ويظهر جلياً في أبراج الكنائس وبعض القصور والمباني التي مازالت تحفظ آثار أنامل صانعيها. ينظر: عبد الله جمال الدين، المسلمون المنصرون، 1994م ص 75. وحسين يوسف دويدار: المسلمون المدجنون في الأندلس، مطبعة الحسين، القاهرة، 1993م ص16

(28) علي صيهود، وعلي حسن، دراسة حول المدجنين، بحث منشور، 2018م، ص 7. وينظر: حسين وسف دويدار، المسلمون المدجنون في الأندلس، ص 18.

(29) Harvey, Islamic Spain, 1250 to 1500, Chicago University, press 2019, p.99

(30) Isabel , A .O. Connor, Aforgotten Community The Mudejare, p. 246.

(31) ألبروتستانتية: هي إحدى مذاهب الدين المسيحي، وتعود أصول المذهب إلى الحركة التي قادها الراهب الألماني مارتن لوثر في ألمانيا في القرن السادس عشر الميلادي، وكان هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في روما، ينظر: سعيد عاشور، الحروب الصليبية، ج1، ص125.

(32) Chytor. H.J. Ahistory of Aragon and Catalonia, London, 1933, p.1 54.

(33) الداوية والإسبتارية، ويطلق عليهم فرسان القديس يوحنا، وهو تنظيم عسكري ديني صليبي، أسس في القرن الحادي عشر الميلادي في القدس، ورئاسته في روما، وكان الهدف منه هو تقديم الخدمات الصحية للجيوش الصليبية، ودعم الوجود الصليبي في الأراضي المقدسة. ينظر: سعيد عاشور: المرجع السابق، ج1، ص 125

(34) Hurvey, op .cit .p .130.

(35) خايمي الأول: ملك أراغون وبلنسية وميورقة، حكم فترة طويلة امتدت من 1213- 1276م.

(36) Lea, op. cit. p.62-64.

(37) بيدرو القاسي: ملك قشتالة، وهو ابن الفونسو الحادي عشر من زوجته ماريا البرتغالية، حكم في الفترة (1367- 1369) وكان يطلق عليه (ملك اليهود) لسياسته الناجحة مع اليهود، والذين كانوا مصدر استياء من الشعب القشتالي. ينظر: موسوعة إسبانيا، 2002م.

(38) علي صيهود وعلي حسن، مرجع سابق، ص9.

(39) Lea, History of Inquisitionin Spain, p.65.

(40) حسين دويدار، المسلمون المدجنون في الأندلس، مطبعة الحسين، القاهرة، 1993م، ص15- 17. وينظر: (Isabel , ,op .cit . p 238 .)

(41) Lea, op, cit, p. 70

(42) Hurvey, op. cit. p.76

(43) Esteban Sarasa Sanchez, Arte Mudajare, en Aragon, Leon, Castella,

(44) زيغريد هونكه (1913- 1999م) شمس العرب تسطع على الغرب، 2012م، ص268.

(45) Juan Tovres, Los Mudejares Marcianosen, elsigalo, K11 Moncia ,1964, p.98

(46) Estow Clena, Pedro, The cruel of Castel, 1350-1389, Brill, 1949. p. 315.

(47) علي صيهود، مرجع سابق، ص 10.

(48) Hurvey , op.cit . p.77

(49) علي صيهود، مرجع سابق، ص 10.

(50) Hurvey , op.cit . p.

(51) خوليو كارو، مسلمو مملكة غرناطة، ص 225 .

(52) خوليو كارو، مسلمو مملكة غرناطة، ص 227 .

(53) ابن الأزرق: هو أبو عبد الله محمد بن الأزرق، وصفته المصادر الإسبانية بأنه كان رجلاً ملهماً. ينظر: Isabel , Aforgotten Community , p. 79

(54) أبوعبد الله محمد الثاني (633- 701هـ/ 1273- 1305 م) حكم مملكة غرناطة في وقت تدهورت فيه الدولة الإسلامية بالأندلس، ينظر: نفح الطيب، ج3 ص 387.

(55) خوليو كارو، مسلمو مملكة غرناطة، ص 228.

(56) الموريسكيون: ويسمون أيضاً المواركة، وهم المسلمون الذين بقوا في الأندلس تحت حكم الدولة الإسبانية بعد سقوط حكم المسلمين. ينظر، عبدالله جمال الدين: المسلمون المنصرون أو الموريسكيون، القاهرة، 1995م، ص 39. وينظر Carr Mathew, Blood and Faith, Press, ISBN, p.156.